

التحرير والتنوير

أطلع ا رسولہ علی نجواہم فلم یتہم لہم ما أرادوا من الإسرار بہا فیعد أن حکى ما تناجوا بہ أمرہ أن یخبرہم بأن ا الذي علم نجواہم یعلم کل قول فی السماء والأرض من جہر أو سر فالتعریف فی (القول) للاستغراق وبذلك کان هذا تزییلا وأعلمہم بأنه المتصف بتمام العلم للمسموعات و غیرہا بقولہ (وهو السميع العليم) .

وقرأ الجمهور (قل) بصیغة الأمر . وقرأ حمزة والكسائي وحفص وخلف (قال) بصیغة الماضي وكذلك ہی مرسومة فی المصحف الکوفي قالہ أبو شامة أي قال الرسول لہم حکى ا ما قالہ الرسول لہم وإنما قالہ عن وحي فکان فی معنی قراءة الجمهور (قل ربي یعلم القول) لأنه إذا أمر بأن یقولہ فقد قالہ .

وإنما لم یقل یعلم السر لمراعاة العلم بأن الذي قالوہ من قبیل السر وأن إثبات علمہ بكل قول یقتضي إثبات علمہ بالسر و غیرہ بناء علی متعارف الناس . وأما قولہ فی سورة الفرقان : (قل أنزلہ الذي یعلم السر فی السماوات والأرض) فلم یتقدم قبلہ ذکر للإسرار وکان قول الذين کفروا : (إن هذا إلا إفک افتراه) صادرا منهم تارة جہرا وتارة سرا فأعلمہم ا باطلاعه علی سرہم . و یعلم منه أنه مطلع علی جہرہم بطریقة الفحوى .

(بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فلیأتنا بآیة كما أرسل الأولون [5]) (بل) الأولى من کلام ا تعالى إضراب انتقال من حکایة قول فريق منهم (أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) إلی حکایة قول آخر من أقوال المشرکین وهو زعمہم أن ما یخبر عنہ ویحکیہ هو أحلام یراہا فیحکیہا فضمیر (قالوا) لجماعة المشرکین لا لخصوص القائلین الأولین .

و (بل) الثانية یجوز أن تكون من الکلام المحکی عنہم وهي إضراب انتقال فیما یصفون بہ القرآن . والمعنی : بل افتراه واختلقه من غیر أحلام أي هو کلام مکذوب .

ثم انتقلوا فقالوا (هو شاعر) أي کلامه شعر فحرف (بل) الثالثة إضراب منهم عن کلامهم وذلك مؤذن باضطرابہم وهذا الاضطراب ناشئ عن ترددہم مما ینتحلونه من الاعتلال عن القرآن . وذلك شأن المبطل المباحث أن یتردد فی حجتہ كما قیل : الباطل لجلج أي ملتبس متردد فیہ .

ویجوز أن تكون (بل) الثانية والثالثة مثل (بل) الأولى للانتقال فی حکایة أقوالہم . والتقدير : بل قالوا افتراه بل قالوا هو شاعر وحذف فعل القول لدلالة القول الأول علیہما وعلی هذا الوجه یجوز أن یكون المحکی کلام جماعات من المشرکین انتحلت کل جماعة اعتلالا .

أطلق ثم مختلط حشیش أو عشب أو أعواد من الحزمة وهو الضاد بکسر ضغث جمع : والأضغاث A E علی الأخلاط مطلقا كما فی سورة یوسف (قالوا أضغاث أحلام) أرادوا أن ما یخبرکم بہ من أنه

أوحى إليه ومن أخبار البعث والحساب ويوم القيامة هو أحلام يراها .

وفرعوا على ترددهم أو فرع كل فريق على مقالته نتيجة واحدة وهي المطالبة أن يأتيهم بمعجزة تدل على صدقة غير هذا القرآن من نوع ما يحكى عن الرسل السابقين أنهم أتوا به مثل انقلاب العصا حية .

ومن البهتان أن يسألوا الإتيان بآية يكون الادعاء بأنها سحر أروج في مثلها فإن من أشهر أعمال السحرة إظهار ما يبدو أنه خارق عادة . وقديما قال آل فرعون في معجزات موسى : إنها سحر بخلاف آية إعجاز القرآن .

ودخلت لام الأمر على فعل الغائب لمعنى إبلاغ الأمر إليه أي فقولوا له : ائتنا بآية . والتشبيه في قوله : (كما أرسل الأولون) في موضع الحال من ضمير (يأتنا) أي حالة كون هذا البشر حين يأتي بالآية يشبه رسالته رسالة الأولين والمشبه ذات والمشبه به معنى الرسالة وذلك واسع في كلام العرب . قال النابغة : .

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي ... على وعل من ذي المطارة عاقل أي عل مخافة وعل أو حالة كون الآية كما أرسل الأولون أي به .

(ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون [6]) استئناف ابتدائي جوابا على قولهم (كما أرسل الأولون) والمعنى : أن الأمم التي أرسل إليها الأولون ما أغنت فيهم الآيات التي جاءتهم كما وددتم أن تكون لكم مثلها فما آمنوا ولذلك حق عليهم الإهلاك فشأنكم أيها المشركون كشأنهم . وهذا كقوله تعالى : (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) في سورة الإسراء